سيمياء العاطفة الحب في زيارة الأربعين
(دراسة في ضوء سيمياء العواطف)

م.د طاهر باوي
جامعة شهيد تشمران-أهواز
taherbavi777@gmail.com

أ.د. رسول بلاوي
جامعة شهيد تشمران-أهواز
r.balavi@scu.ac.ir

الملخص

تركّز سيميائية العواطف على تحليل كيفية تمثيل المشاعر وتجسيدها عبر الرموز والعلامات في النصوص الأدبية والسياقات الثقافية المختلفة. تتناول هذه النظرية الدور الذي تؤديه العلامات في إيصال الأحاسيس الإنسانية واستجابة المتلقي لهذه الإشارات على مستوى الإدراك والشعور. كما تتيح هذه المنهجية فهمًا أعمق لكيفية تأثير الرسائل العاطفية على المتلقي، ومدى اختلاف تفسيراتهم بناءً على خلفياتهم الثقافية وتجاربهم الفردية.

تعد زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام واحدة من أبرز المظاهر العاطفية والروحية في الثقافة الشيعية، حيث تعكس هذه الزيارة مشاعر عميقة من الحب والوفاء والتضحية. يمكن تحليل هذه العواطف من خلال منظور سيميائي لفهم كيفية تشكيلها ورموزها في الخطاب الديني والاجتماعي.

يهدف هذا البحث، من خلال المنهج الوصفي-التحليلي، إلى تحليل عاطفة الحب في نص زيارة الأربعين من منظور سيميائي، وفهم كيفية تشكيل هذه العاطفة كعلامة سيميائية تحمل دلالات روحية واجتماعية.

توصلت الدراسة إلى أن عاطفة الحب تظهر كعاطفة مركبة من مشاعر متعددة، حيث يتحول الحب إلى قوة مقاومة ضد الظلم، ويُظهر الزائر براءته من أعداء الإمام الحسين عليه السلام ودعاءه عليهم، مما يعكس أن الحب ليس مجرد شعور عاطفي، بل هو موقف أخلاقي وسياسي يعبر عن الالتزام بالقيم الروحية والمبادئ الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، سيمياء العواطف، الحب، الكره، زيارة الأربعين.

The Semiotics of the Emotion of Love in the Arbaeen Pilgrimage
A Study in Light of the Semiotics of Emotions

Asst.Dr.Taher Bavi
shahid Chamran University of Ahvaz, Iran
Prof.Dr.Rasoul Balavi
shahid Chamran University of Ahvaz, Iran

Abstrac

The semiotics of emotions focuses on analyzing how feelings are represented and embodied through symbols and signs in literary texts and various cultural contexts. This theory examines the role of signs in conveying human emotions and the recipient's response to these signals at the levels of perception and sentiment. This methodology also provides a deeper understanding of how emotional messages influence the audience and how their interpretations vary based on their cultural backgrounds and personal experiences. The Arbaeen pilgrimage of Imam Hussein (peace be upon him) is one of the most prominent emotional and spiritual manifestations in Shiite culture, reflecting profound feelings of love, loyalty, and sacrifice. These emotions can be analyzed from a semiotic perspective to understand how they are constructed and symbolized within religious and social discourse. Using a descriptive-analytical approach, this study aims to analyze the emotion of love in the text of the Arbaeen pilgrimage from a semiotic perspective and to understand how this emotion is shaped as a semiotic sign carrying spiritual and social connotations. The study finds that the emotion of love appears as a complex sentiment composed of multiple feelings, such as joy and sorrow, where love transforms into a force of resistance against oppression. The pilgrim expresses dissociation from the enemies of Imam Hussein (peace be upon him) and prays against them, reflecting that love is not merely an emotional sentiment but also a moral and political stance that embodies commitment to spiritual values and human principles.

Keywords: Imam Hussein (peace be upon him), Semiotics of Emotions, Love, Hatred, Arbaeen Pilgrimage.

تُعدُّ الانفعالات والأهواء عنصرًا أساسيًّا في الطبيعة البشرية، حيث تعكس فائضًا شعوريًّا يتجلّى في الصفات والسلوكيات الاجتماعية. تُعنى نظرية سيمياء العواطف بتحليل هذا الفائض ودراسة علاماته الدلالية وآثاره المعنوية في الخطاب. يتميّز هذا المنهج عن السيميائيات التقليدية (مثل نظريات بيرس، وسوسير، وباختين، وإيكو) التي تركّز على العلاقة بين الدال والمدلول، وعن المنهج البنيوي لرولان بارت القائم على فكرة "موت المؤلف". في المقابل، تسعى سيميائية العواطف إلى تحليل المشاعر الكامنة في النصوص عبر أدوات تحليلية تشمل: العوامل (الكلمات والسياقات)، والعوارض (التغيرات الناتجة عن التأثير العاطفي)، مع تقديم مقاييس محددة مثل الشدة، الكمية، الرغبة، والمزاج لتقييم التأثير العاطفي للنصوص.

أضحت الزيارة سُنّةً من أهم السُّنن في الوعي الشيعي، وبخاصة في العراق، في ظل ظروفٍ تاريخيةٍ قاسيةٍ صار لها تأثيرٌ بالغٌ على هوية الجماعة، والمعنى في وجودها؛ شدَّ من أزر أفرادها، وقوَّى لحمتهم. يقول النفيسي: «إنَّ شيعة العراق تؤلِّف جماعةً بشريةً أكثر انسجامًا وقرابةً عِرقيةً من أهل السنة، وذلك بفضل زيارة الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء، سنةً بعد أخرى».(المخزومي، ٢٠١٨م: ٣٤٧.) ومن بين هذه الزيارات تُعد زيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ من أبرز الطقوس الدينية في الثقافة الشيعية، حيث يجتمع الملايين سنويًّا لإحياء ذكرى استشهاده في كربلاء. لا تقتصر هذه الزيارة على كونها حدثًا دينيًّا فحسب، بل هي تعبير عن مشاعر عميقة من الحب والوفاء والتضحية، تتجسّد في النصوص الدينية المرتبطة بها، وأبرزها نص زيارة الأربعين. يعكس هذا النص عاطفة الحب كعلامة سيميائية قوية، تحمل دلالات

روحية واجتماعية وسياسية متعددة. تتمحور إشكالية هذا البحث حول كيفية تحليل عاطفة الحب في نص زيارة الأربعين من منظور سيميائي، وفهم تشكيل هذه العاطفة كعلامة دلالية تحمل أبعادًا متعددة. تهدف الدراسة إلى تقديم إطار نظري جديد لتحليل النصوص الدينية باستخدام مناهج سيميائية حديثة، مع التركيز على نظرية ألجيرداس غريماس وجاك فونتنيي، اللذين قدّما إطارًا نظريًّا لتحليل العواطف عبر البنية السردية والعلاقات بين العلامات والدلالات. تكمن أهمية البحث في محاولته فهم تشكيل عاطفة الحب كعلامة سيميائية في نص ديني، وكيفية تفاعلها مع السياقات الثقافية والاجتماعية. كما يسعى إلى تطبيق نظرية سيميائية العواطف على نص ديني، ممّا يفتح آفاقًا جديدة لدراسات تربط بين المناهج السيميائية الحديثة والنصوص الدينية.

أسئلة البحث

١. كيف يتم تمثيل عاطفة الحب في نص زيارة الأربعين عبر الرموز والعلامات السيميائية؟

٢. ما الأبعاد العاطفية المركّبة التي تحملها عاطفة الحب في نص الزيارة؟

٣. ما الدلالات الأخلاقية والسياسية التي تحملها عاطفة الحب في نص زيارة الأربعين؟

خلفية البحث

شهدت زيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ اهتمامًا متزايدًا من قِبَل الباحثين في مجالات مختلفة، حيث تم تناولها من زوايا دينية، واجتماعية، وسوسيولوجية، إلا أن الأبعاد السيميائية للعواطف المرتبطة بها لا تزال بحاجة إلى مزيد من الاستقصاء. يمكن الإشارة إلى عدد من الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة من منظورات متعددة، من أبرزها:

- كتاب زيارة الأربعين: دراسة سوسيولوجية ميدانية لصادق المخزومي (المخزومي، صادق، ٢٠١٨م)، حيث يتناول الكتاب زيارة الأربعين باعتبارها ظاهرة

سوسيولوجية فريدة، تستكشف التفاعل الجدلي بين الدين والمجتمع في السياق الشيعي. وينطلق من فرضية أن الممارسات الدينية، حتى وإن لم تكن منصوصًا عليها نصًّا، تُسهم في تشكيل الهويات الجماعية، وتعكس الصراعات القيمية والسياسية. ويؤكد الكتاب أن زيارة الأربعين تطورت من طقسٍ ديني إلى حدثٍ جماهيري يحمل أبعادًا اجتماعية وسياسية، إذ تحوَّلت إلى فعل تعبوي يُعيد إنتاج الهوية الشيعية، ويُعزِّز تماسكها في مواجهة التحديات المختلفة.

- كتاب زيارة الأربعين والعشق الحسيني: قراءة في المضامين والدلالات والآثار لعبدالله أحمد اليوسف،(أحمد اليوسف، عبدالله، ١٤٤٠هـ)حيث يسلط الضوء على المسيرة المليونية نحو مرقد الإمام الحسين ﷺ في ذكرى الأربعين، باعتبارها تجسيدًا حيًّا للعشق الروحي والولاء للقيم التي نادى بها الإمام الحسين، مثل العدل، والتضحية، ونصرة المظلوم. ويؤكد الكتاب أن هذه الزيارة تتجاوز البعد الطقوسي، لتتحول إلى رمز عالمي للنضال ضد الظلم، مما يعكس حضورها المتجدد في الوعي الجمعي الشيعي، بل وفي السياق الإنساني الأوسع.
- مقالة زيارة الأربعين: أنموذجٌ لمجتمع تراحمي نقيض الفردانية الحداثية لطلال عتريسي،(عتريسي، طلال، ١٤٤٦هـ) حيث تُقدِّم هذه الدراسة مقاربة سوسيولوجية لزيارة الأربعين، بوصفها ظاهرة اجتماعية تعبِّر عن قيم التراحم والتعاون والتكافل، التي تتناقض مع الفردانية السائدة في المجتمعات الحديثة. ويرى الباحث أن مشاركة الملايين في هذه الزيارة، وتقديم الخدمات بشكل تطوعي دون مقابل مادي، يعكس نموذجًا فريدًا للمجتمع التراحمي. كما يناقش المقال دور الشباب في هذه الظاهرة، مبرزًا مشاركتهم الفاعلة بوصفها مؤشرًا على حضور الدين في حياتهم، خلافًا للصور النمطية التي تربطهم بالعبثية أو العزوف عن التدين.

رغم هذه الإسهامات القيّمة في دراسة زيارة الأربعين من زواياها الاجتماعية والدينية، لا يزال البعد السيميائي للعواطف في هذا السياق مجالًا خصبًا للبحث، لا سيما من حيث تحليل العلامات والرموز اللغوية المستخدمة في التعبير عن المشاعر الدينية،

ودورها في تجسيد المفاهيم القرآنية والعاطفية. لذا، تسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة متكاملة لزيارة الأربعين، تجمع بين التحليل البلاغي والتاريخي والروحي، بما يُتيح فهمًا أعمق للنصوص والممارسات المرتبطة بهذه المناسبة، وتأثيرها في التجربة الدينية للمؤمنين.

مفهوم السيميائية

السيمياء لغة: ورد في لسان العرب أن «السُّومة، والسيمة، والسيمياء تعني العلامة، وذكر أن "سوم الفَرَس" يعني وضع علامة عليه. كما أوضح الزجاج في تفسيره لقوله تعالى: (مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ) (الذاريات ٥١: ٣٤) بأن الكلمة تعني "مُعلَّمة"»(ابن منظور، ١٤١٩هـ، ج٦: ٤٤٠) يعرض النص القرآني مفهوم السيمياء كدليل وإشارة، كما يظهر في عدة آيات مثل قوله تعالى: (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ)، (البقرة ٢: ٢٧٣.) مما يدل على أن السيمياء تشير إلى العلامات الظاهرة التي تدل على المعاني أو الأحوال، وهو مفهوم يرتكز على «إبانة الشيء بأمارة تتعلمها»،ابن فارس، (١٣٩٩هـ، ج٢: ٢٥٩).بحيث يكون الدليل هو العلامة الدالة على المعنى.

السيمياء في الاصطلاح: برزت السيميائية كعلم مستقل في النقد الحديث يعنى بدراسة العلامة، وهو «العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات، سواء كانت لغوية أو غير لغوية، أو مؤشِّريَّة»(السرغيني، ١٤٠٧ه: ٥٠). في تعريف جامع لهذا العلم، يُعرَّف بأنه «علم العلامات أو الإشارات أو الدوال اللغوية والرمزية، سواء أكانت طبيعية أم اصطناعية. ويعني هذا أن العلامات من وضع الإنسان بناءً على اتفاق بين الأفراد حول دلالتها. فإذا كانت اللسانيات تتناول ما هو لغوي، فإن السيميولوجيا تمتد إلى ما هو لغوي وغير لغوي». (ولد أباه، ٢٠١٠م: ١٤.)وهي «دراسة شكلانية للمضمون، تمر عبر الشكل لمسائلة الدوال من أجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى».

(حمداوي، ١٩٩٧م: ٧٩)يمكن القول إن السيمياء أصبحت أداة تحليلية شاملة تتجاوز اللسانيات إلى دراسة جميع مظاهر التواصل في الحياة الإنسانية.

اولا- مفهوم سيمياء العواطف عند غريماس وفونتنيي:

تتراوح التسمية بين "سيمياء الأهواء" و"سيمياء العواطف"، ذلك لأنها «تدرس مجموعة من المشاعر والانفعالات المتعلقة بالذات الإنسانية داخل نصوص وخطابات سردية، بغية البحث عن المعنى والدلالة للهوى الانفعالي».(شاوي، ٢٠٢٢م: ٥٢٣.)بمتابعة مختلف المدارس السيميائية واتجاهاتها، نجد أن السيمياء قد توغلت في شتى المجالات، مثل سيمياء السرد، وسيمياء التواصل، وسيمياء الدلالة، وسيمياء الذات، وسيمياء التأويل، وسيمياء الصورة، وسيمياء التوتر، وسيمياء التلفظ، وغيرها. ومن بين هذه الفروع، تبرز "سيمياء العواطف" التي يتناولها هذا البحث، إذ نشأت "سيميائيات الأهواء" لدراسة الذات، والانفعالات الجسدية، والحالات النفسية، بهدف «توضيح آليات تشكل المعنى داخل النصوص والخطابات ذات الطابع العاطفي».(حمداوي، ٢٠١٥م ١٩٠.) قامت هذه النظرية بتأسيس مفاهيمها انطلاقًا من علاقتها الوثيقة بسيمياء العمل، حيث تسعى إلى بناء إطار متكامل يجمع بين المعرفة والشعور، ويحقق انسجامًا بين حالات الأشياء المادية وحالات النفس الإنسانية، بما يعكس التناغم بين الأبعاد العقلية والعاطفية في الخطاب. ذلك لأن «الإنسان لا يَفعل فقط، بل يضيف إلى ذلك شحنة انفعالية تُحدد درجة الكثافة التي يتحقق من خلالها هذا الفعل. وهي إشارة أيضًا إلى طبيعة كينونة الذات الفاعلة وتأثيرها في فعلها».(غريماس وفونتنيي، ٢٠١٠م: ١٢)وعلى هذا الأساس، «يُنظر إلى الهوى في علاقته بالفعل باعتباره تنظيمًا مركبًا لسلسلة من الحالات النفسية، وهي حالات تُشكِّل الغطاء الخطابي للكينونة المُكيَّفة».

يرى بعض الباحثين أن إدراج البُعد العاطفي في تحليل الخطاب يُعد إضافة حيوية للدراسات السيميائية، حيث تستمد العواطف تأثيرها من الذات الإبداعية وتنعكس على النصوص الأدبية. لكن يجب ملاحظة أن سيمياء العواطف «لا تهتم بالتأثير النفسي المباشر على المتلقي، بل تهتم بإنتاج الدلالات والإيحاءات التي تنقل بصمة الذات المبدعة، مركزةً على العواطف التي تؤثر في تطور السرد في الخطاب». (العلاق، ٢٠٠٢م: ٤٢)يشير "جاك فونتنيي" في تحليله لسيمياء العواطف، إلى أن العاطفة تظهر في الخطاب من خلال بُعدين أساسيين: «الأول يتمثل في التعبيرات الصياغية التي تجسدها العوامل والقدرات والكفاءات، والثاني يتمثل في الطبيعة التوليدية التي تنعكس من خلال التوترات المختلفة التي تضبطها الذات أثناء مواجهتها للأحداث».(ليندة، ٢٠٠٩م: ٣٨٧)

المقاربة الأولى، التي طورها كل من "غريماس" و"فونتنيي" (١٩٩١م)، تعتمد على «ربط العاطفة بأدوات وآليات سيمياء الحدث، مما يجعلها امتداداً لها. أما المقاربة الثانية، فتركز على بُعد العاطفة باعتبارها وضعاً يتسم به تفاعل الذات العاطفية مع الذات العاملة، حيث تُدرس مظاهر الذات المختلفة كما تبرز في الخطاب».(حني، ٢٠١٥م: ١٢)قام غريماس بوضع نموذج شامل وعاملي قادر على استيعاب مختلف أشكال النشاط الإنساني، حيث اعتبر أن هذا النموذج: «يمثل شكلاً قانونياً لتنظيم النشاط الإنساني، أو هو النشاط الإنساني مكثفًا في ترسيمة ثابتة رغم تغير عناصر تمظهرها».(بنكراد، ٢٠٠١م: ٤٦)يتألف هذا النموذج من ستة عوامل تتجمع في ثلاث علاقات، وتم تقسيمها كما يلي:

١. الفاعل والموضوع: تعد العلاقة بين الفاعل والموضوع بؤرة النموذج العاملي، وتبدو من جهة غريماس محمّلة بالشحنة الدلالية الكامنة في الرغبة. يُحدد «الفاعل من خلال هذه الرغبة كعامل راغب متحرك، بينما تمثل "الطلبة" موضوع الرغبة». (حسن، ٢٠١٥م: ١٥١)وبصفته هذه، يبدو "الطلبة" عاملاً سلبياً غير متحرك. ويطلق غريماس مصطلح "ملفوظ حالي" على التعيين الذي يضع كل من العاملين بالنسبة إلى الآخر، إذ إن الصلة بينهما استتباعية، فوجود أحدهما يفترض وجود الآخر ويستوجبه. ويشرح ذلك بقوله: «الصلة بين العاملين تعالقية، وهذا من شأنه إتاحة النظر إليهما من حيث إن أحدهما موجود دلالياً للآخر، وبه، مقصياً بذلك كل حكم وجودي على حضورهما».(العجيمي، ١٩٩١م: ٤٠.)

٢. المرسل والمرسل إليه: يوحي حضور هاتين الوحدتين العاملتين في الخطاب السردي بوجود عالم مؤسس على منظومة من القيم يحكم بمقتضاها على الأفعال سلباً أو إيجاباً، فتُحل في مرتبة المحرم أو المباح أو الواجب. وتتمثل الوظيفة الموكولة إلى "المؤتي" (المرسل) في المحافظة على هذه القيم وصيانتها وضمان استمرارها، وذلك بتبليغها إلى "الموتى إليه" (المرسل إليه) أو إملائها عليه.

٣. المساعد والمعارض: تنتظم هاتان الوحدتان العاملتان في سياق العلاقة بين الفاعل والموضوع، حيث تتحدد وظيفة المساعد في تقديم العون للفاعل بغية تحقيق مشروعه العملي والحصول على الطلبة، فيما يقوم المعارض بحائل دون تحقيق الفاعل لطلبته، عائقًا في طريقه.يتشكل المربع السيميائي من «علاقة تضاد (أبيض، أسود)، وعلاقة تضمين (أبيض، لا أبيض؛ أسود، لا أسود)، وعلاقة تناقض (أبيض، لا أسود؛ أسود، لا أبيض). تتخللها المحور الدلالي الذي يجمع بين الثنائية، مثلًا: ثنائية أبيض وأسود تنتمي إلى محور اللون، ضمن نموذج ينظم العلاقات ويشمل العمليات». يمكن تقديم نموذج يوضح العلاقات ويجمع العمليات المرتبطة بها، كما هو مبين في الترسيمة التالية

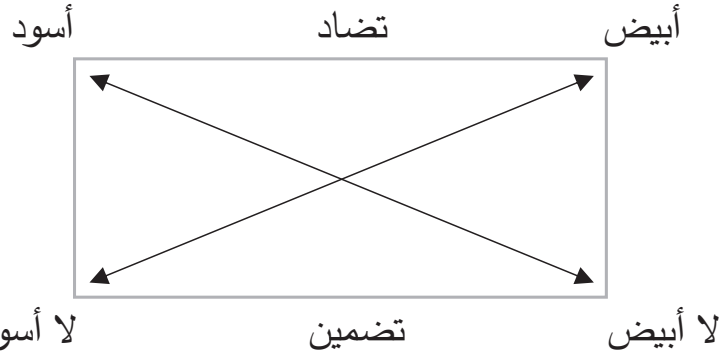

تحليل سيمياء عاطفة الحب في زيارة الأربعين الإمام الحسين عليه السلام

تُعَدُّ اللغة الوسيلة الأساسية التي يعبِّر من خلالها الإنسان عن أفكاره ومشاعره. ومن المعلوم أن استعمال اللغة يتضمن قوتين نفسيَّتين متميِّزتين، هما: الذهن من جهة، والخيال والعاطفة من جهة أخرى. تُشير الدراسات إلى أن سيمياء اللسان تُشكِّل «اللبنة الأولى في تشكُّل نسق الدلالة المتمركز في الخطاب، سواء على صعيد العلاقات التوزيعية أم على صعيد العلاقات الاندماجية. وبنية العواطف، كأي بنية أخرى، تقوم على تلك الأسس التي تتراوح بين الاتصالية والانفصالية، انطلاقًا من أن العواطف تتجه في اتجاهات متناقضة، تتأرجح بين الرحمة والظلم، الحب والكره، الخوف والأمن».(المسعودي، ١٤٤٥هـ: ٩١) وفي سياق زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام، يظهر النص بوصفه حاملًا لمشاعر مركبة، تتراوح بين الحب والوفاء من جهة، والبغض تجاه أعداء الإمام من جهة أخرى، مما يعكس البنية النفسية للذات الزائرة في حضرة الإمام الحسين عليه السلام.

مفهوم عاطفتي الحب والكُره: وردت كلمة " الحب " في المعجم بأشكال وصيغ متنوعة، لكنها تتقارب جميعها في المعنى وتعبر عن مضمون موحد. والحُبُّ هو «نقيض البغض، ويعني الوداد والمَحَبَّة، ويُقال أيضًا " الحِبُّ " بالكسر. يُقال: أَحَبَّهُ، فهو مُحِبٌّ، وهو مَحْبُوبٌ، وهذا هو الاستخدام الشائع، وإن كان قد قيل " مُحَبٌّ " على القياس».. (ابن منظور، ١٤١٩هـ، ج٣: ٧) و«الحاء والباء لهما ثلاثة أصول؛ أحدها يدل على اللزوم والثبات، أما عن اللزوم، فيقال: أَحَبّ ومَحَبّة، ويشتق من أَحَبَّه إذا لزمه»..(ابن فارس، ١٣٩٩هـ، ج٢: ٢٦) فالحب هو: «اتصال بين أجزاء النفس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي، ومجاورتها في هيئة تركيبها». (الأندلسي، ١٩٨٧م: ١٢٦) والكُره يدل «على خلاف الرضا والمحبّة. يُقال: كَرِهْتُ الشيءَ، أَكْرَهُهُ كَرْهًا، والكُرهُ اسمٌ. ويُقال أيضًا: الكُرْهُ هو المشقّة، والكَرهُ هو أن تُكَلَّفَ الشيءَ فتعملَهُ وأنت كارهٌ. ويُقال أيضًا: من الكرهِ الكراهةُ والكراهيةُ. وأما الكريهةُ فهي الشدّةُ في الحرب»..(ابن فارس، ١٣٩٩هـ، ج٥: ١٧٢-١٧٣) أنَّ «الكُرهَ والكَرهَ لغتان، فأيُّ لفظٍ وقعَ منهما فهو جائز. إلا أنَّ الفراء زعم أنَّ الكُرْهَ هو ما أَكْرَهْتَ نفسَكَ عليه، والكَرهَ هو ما أَكْرَهَكَ غيرُك عليه. تقول: جِئْتُكَ كُرْهًا وأَدْخَلْتَنِي كَرهًا. وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة ٢: ٢١٦) يُقال: كَرِهْتُ الشيءَ كُرْهًا وكَرْهًا، وكراهةً وكراهيةً».(ابن منظور، ١٤١٩هـ، ج١٢: ٨٠)

يُعَدُّ نصُّ زيارة الأربعين للإمام الحسين بن علي عليه السلام مثالًا بارزًا على تكوين مشهدٍ سيميائي يُجسِّد عاطفةَ الحبِّ والإخلاصِ الديني، إذ يتم من خلاله استحضارُ عدةِ شخصياتٍ رمزيةٍ تتداخلُ في إطارٍ واحدٍ لتشكيل تجربةٍ عاطفيةٍ متكاملةٍ. وفي مستهلِّ الزيارة نقرأ: «اَلسَّلاَمُ عَلَى وَلِيِّ اللهِّ وَحَبِيبِهِ؛ اَلسَّلاَمُ عَلَى خَلِيلِ اللهِّ وَنَجِيبِهِ؛ اَلسَّلاَمُ عَلَى صَفِيِّ اللهِّ وَابْنِ صَفِيِّهِ؛ اَلسَّلاَمُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ؛ اَلسَّلاَمُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرُبَاتِ وَقَتِيلِ الْعَبَرَاتِ».(القمي، ١٤٢٨هـ: ٧٧٠)

يتجلى التعبير عن عاطفة الحب في هذا النص عبر سلسلة من التحيات المتكررة بصيغة "اَلسَّلاَمُ عَلَى"، متبوعةً بألقاب وصفات دينية واجتماعية تعكس شبكة من العلاقات الرمزية متعددة الأبعاد. ففي العبارة الأولى: "اَلسَّلاَمُ عَلَى وَلِيِّ اللهِ وَحَبِيبِهِ"، يتداخل بُعد الولاية الإلهية مع دلالة الحب الروحي، مما يمنح الإمام الحسين مكانة متميزة في سياق العلاقة بين الإنسان والخالق. ويتواصل هذا البناء الدلالي في العبارات التالية: "اَلسَّلاَمُ عَلَى خَلِيلِ اللهِ وَنَجِيبِهِ" و"اَلسَّلاَمُ عَلَى صَفِيِّ اللهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ"، حيث يُبرز التسلسل الهرمي في الأوصاف الروحية حالةً من الترابط بين الاصطفاء الإلهي والمكانة الوجدانية، مما يجعل الحب ليس مجرد إحساس فردي، بل هو تجربة جماعية متجذرة في الإرث الديني والتاريخي. وعن أبي جعفر الباقر ﷺ، قال: «مَن أَرادَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مِن أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَعْرِضْ حُبَّنَا عَلَى قَلْبِهِ؛ فَإِنْ قَبِلَهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَمَنْ كَانَ لَنَا مُحِبًّا، فَلْيَرْغَبْ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الحُسَيْنِ ﷺ؛ فَمَنْ كَانَ لِلحُسَيْنِ زُوَّارًا عَارِفًا، عَرَفْنَاهُ بِالحُبِّ لَنَا أَهْلَ البَيْتِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلحُسَيْنِ ﷺ زُوَّارًا، كَانَ نَاقِصَ الإِيمَانِ».(أحمد اليوسف، ١٤٤٠هـ: ٥٧-٥٨)

تظهر عباراتٌ في الجزء الأخير من النص، تؤكد التداخل بين الحب والتضحية، مثل: "اَلسَّلاَمُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ" و"اَلسَّلاَمُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرُبَاتِ وَقَتِيلِ الْعَبَرَاتِ"، حيث تلتقي مشاعر الحب مع دلالات المعاناة والشهادة، مما يعزز الطابع التواصلي لهذه العاطفة وفقًا للنموذج السيميائي الذي يقترحه غريماس وفونتنيي. يتجاوز الحب كونه مجرد حالة وجدانية، ليصبح عنصرًا تعبويًا يعبر عن الولاء والإخلاص في مواجهة الظلم، وهو ما يعكس جدلية الاتصال والانفصال في نظرية سيميائية العواطف، إذ يتجلى الاتصال في رابطة المحبة والوفاء للإمام الحسين ﷺ، في حين يعبر الانفصال عن رفض الظلم والقوى التي تسببت في استشهاده.

تكشف سيميائية العواطف في زيارة الأربعين عن ديناميكية الحب بوصفه قوة فاعلة تتجسد في الولاء، والفداء، والصراع ضد الباطل، مما يجعل هذا النص نموذجًا غنيًا لتحليل العواطف في الخطاب الديني والأدبي. ويظهر ذلك في نص الزيارة الذي يرد فيه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ، وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ، الْفَائِزُ بِكَرَامَتِكَ، أَكْرَمْتَهُ بِالشَّهَادَةِ، وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعَادَةِ، وَاجْتَبَيْتَهُ بِطِيبِ الْوِلَادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّدًا مِنَ السَّادَةِ، وَقَائِدًا مِنَ الْقَادَةِ، وَذَائِدًا مِنَ الذَّادَةِ، وَأَعْطَيْتَهُ مَوَارِيثَ الأَنْبِيَاءِ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الأَوْصِيَاءِ، فَأَعْذَرَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنَحَ النُّصْحَ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ، لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ، وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيَا، وَبَاعَ حَظَّهُ بِالأَرْذَلِ الأَدْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الأَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ، وَحَمَلَةَ الأَوْزَارِ، الْمُسْتَوْجِبِينَ النَّارَ، فَجَاهَدَهُمْ فِيكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، حَتَّى سُفِكَ فِي طَاعَتِكَ دَمُهُ، وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهُ، اللَّهُمَّ فَالْعَنْهُمْ لَعْنًا وَبِيلًا، وَعَذِّبْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا». (القمي، ١٤٢٨هـ: ٧٧١)

يُظهر نص الزيارة ارتباط الإمام الحسين ﷺ بالله ارتباطًا وثيقًا، مما يجعل حبّه جزءًا من المسار الروحي للمؤمن. ويتجلى ذلك في وصفه بـ "وليك وابن وليك" و"صفّيك وابن صفّيك"، وهو ما يؤكد أن العلاقة العاطفية بين الزائر والإمام ليست علاقة عابرة، بل تنبع من إرادة إلهية مقدسة، مما يجعل الحب للإمام امتدادًا للحب الإلهي، ويُحوِّل الولاء له إلى واجب ديني يعكس إخلاص المؤمن لعقيدته. وعن مولانا الحسن بن علي العسكري (صلوات الله عليه) انّه قال: «عَلاماتُ الْمُؤمِنِ خَمْسٌ: صَلَواتُ إحْدى وَخَمْسينَ، وَزِيارَةُ الأَرْبَعينَ، وَالتَّخَتُّمُ بِالْيَمينِ، وَتَعْفيرُ الْجَبينِ، وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ». (بحر العلوم، ١٤٣٣هـ: ٣٣).

يأخذ الحب في هذا النص بعدًا ديناميكيًا، إذ لا يبقى مجرد انفعال داخلي، بل يتحول إلى فعل جهادي وفداء مطلق. ويتجلى ذلك في العبارة: "بذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة"، حيث يُصوَّر حب الإمام الحسين ﷺ على أنه محرك رئيسي للتضحية، مما يجعله حبًا يتجاوز الفردية ليصبح مشروعًا إنقاذيًا. كما يتضح مفهوم "الفاعل العاطفي"، حيث يكون الإمام الحسين ﷺ هو محور الحب، في حين يكون الزائر هو المتلقي لهذه العاطفة التي تدفعه إلى التشبّه بالإمام من خلال تبنّي قيمه ومبادئه.

يتجلى الحب في نص الزيارة من خلال منظومة سيميائية متكاملة، حيث يُمثل الزائر الذات العاطفية التي تعبر عن الولاء العميق للإمام الحسين ﷺ، فيما يكون الإمام نفسه الموضوع العاطفي، باعتباره محور الحب الإلهي الذي يكتسب قدسيته من ارتباطه بالله تعالى. وهذا الارتباط يمنح العلاقة بين الزائر والإمام بُعدًا دينيًا يتجاوز العاطفة المجردة، إذ يتجسد الله تعالى في النص بوصفه المرسل، الذي يجعل حب الحسين ﷺ ليس مجرد اختيار شخصي، بل وسيلة للقرب الإلهي، في حين يكون المرسل إليه هو المؤمن الذي يتلقى هذه العاطفة ويتبناها في سلوكه، بحيث يتحول الحب إلى التزام ديني يوجّه مسيرته الروحية والأخلاقية. ولا تقتصر البنية السيميائية للنص على تحديد الأدوار العاطفية، بل تتضمن أيضًا عناصر داعمة وأخرى معارضة تؤثر في تشكيل العاطفة. فمن جهة، نجد العامل المساعد، الذي يتمثل في القيم الدينية العليا كالشهادة، والكرامة، والاصطفاء، وهي عناصر تجعل حب الحسين ﷺ جزءًا أصيلًا من العقيدة، مما يعزز شعور الانتماء والالتزام. وعلى النقيض من ذلك، يظهر العامل المعارض متمثلًا في أعداء الإمام الحسين ﷺ، الذين يجسدون النقيض المطلق لهذا الحب، فيخلقون صراعًا دلاليًا داخل النص، حيث لا يُفهم الحب إلا من خلال ضده، مما يعزز ثنائية الولاء والرفض، ويؤكد أن الحب في هذا السياق ليس مجرد شعور، بل موقف عقدي يُحدد هوية المؤمن.

إن العواطف لا تُفهم بمعزل عن أضدادها، ويُعَدُّ اللجوء إلى استعمال التقابلات الثنائية في بناء الخطاب «أحد الإجراءات المنهجية من جهة، ومن جهة أخرى انعكاسًا حقيقيًا لطبيعة اللغة؛ لأن هذه التقابلات تمثل شفرات طبيعية خاضعة لاستثمار الخطاب»(كللر، ٢٠٠٠م: ١٠٣.ولهذا يتحدد الحب في نص الزيارة من خلال نقيضه، وهو الكره تجاه أعداء الإمام الحسين ﷺ. يظهر هذا التقابل بشكل واضح في العبارة: "اللهم العنهم لعناً وبيلاً وعذبهم عذاباً أليماً"، حيث لا يقتصر النص على إظهار الحب للإمام الحسين ﷺ، بل يعزز هذا الحب عبر رفض كامل لأعدائه. ولا يكون الكره مجرد إحساس سلبي، بل هو موقف عقدي يُحدد هوية المؤمن، ويجعل الولاء للإمام الحسين ﷺ جزءًا من الصراع بين الحق والباطل. فمن خلال وصف الإمام الحسين ﷺ بأنه "الفائز بكرامتك" و"أكرمته بالشهادة"، يتجلى الحب كطريق للخلاص والرفعة، بينما يكون الكره مرتبطًا بالسقوط في الدنيا والآخرة. هذه الجدلية العاطفية تخلق حركة دلالية داخل النص، حيث يبدأ المؤمن بإعلان الحب، ثم يتبنى الكره تجاه أعداء الإمام، لينتهي بالدعاء عليهم بالعذاب واللعن. يعكس النص عملية سيميائية يتحول فيها الشعور العاطفي إلى فعل ديني وشعائري، يُرسّخ الهوية الإيمانية للمؤمن في إطار منظومة عقدية متكاملة.

نقرأ في نص الزيارة: «اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ سَيِّدِ الأَوْصِيَاءِ. أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِينُ اللهِ وَابْنُ أَمِينِهِ، عِشْتَ سَعِيدًا، وَمَضَيْتَ حَمِيدًا، وَمُتَّ فَقِيدًا مَظْلُومًا شَهِيدًا. وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ مَا وَعَدَكَ، وَمُهْلِكٌ مَنْ خَذَلَكَ، وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ. وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللهِ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ. فَلَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ. اَللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُ». (القمي، ١٤٢٨هـ: ٧٧٢)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - آذار ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

نجد أن الحب بوصفه علاقة تتحدد عبر ثنائية الذات والموضوع، حيث تتجسد الذات العاطفية (الفاعل العاطفي) في الزائر الذي يخاطب الإمام الحسين عليه السلام بكلمات تعبّر عن ولائه المطلق. أما الموضوع العاطفي، فيتمثل في الإمام الحسين عليه السلام الذي يشكل محور العاطفة ومصدرها، حيث يُوصف بأوصاف تبجيلية تؤكد ارتباطه بالله، كما في قول الزائر: "أمين الله وابن أمينه". و«العلاقة التي تجمع بين الذات والموضوع هي بؤرة النموذج العاملي، لأنها محمّلة بالشحنة الدلالية الكامنة في الرغبة». (المسعودي، ١٤٤٥هـ: ١٢٥)

أما المرسل والمرسل إليه، فهما عنصران أساسيان في بناء العاطفة داخل النص. يتمثل المرسل في الله تعالى، الذي يُقدَّم بوصفه الضامن للعهد الذي أوفى به الإمام، والمجازي لمن ناصره، والمعاقب لمن خذله، كما في قول الزائر: "وأشهد أن الله منجز ما وعدك، ومهلك من خذلك". وبذلك يصبح حب الإمام الحسين عليه السلام مرتبطًا بالمشيئة الإلهية. أما المرسل إليه، فهو المؤمن الذي يتلقى هذه العاطفة من خلال التفاعل مع نص الزيارة، مما يجعله يتحول إلى فاعل متأثر يسعى إلى تجسيد القيم التي يمثلها الإمام الحسين عليه السلام. إن الحب الموجه للإمام الحسين عليه السلام في هذا النص لا يبقى مجرد انفعال داخلي، بل يتحول إلى فعل ولاء ودعاء ونبذ للعدو، مما يجعله عاطفة ديناميكية غير جامدة، بل متجسدة في الالتزام، كما يظهر في قول الزائر: "اللهم إني أشهدك أني ولي لمن والاه، وعدو لمن عاداه". ويعكس هذا التحول أحد المبادئ الأساسية في نظرية غريماس، حيث تُفهم العاطفة من خلال أثرها الفعلي على السلوك. والعلاقة التي «جمعت بين المُرسل والمُرسل إليه علاقة تواصلية، هدفها إيصال الرسالة التي تحمل موضوعًا في غاية الأهمية. يسعى المُلقي إلى طرح الموضوع عبر أدلة لا يستطيع السامع إنكارها. فعملية الاهتمام بالألفاظ وإعطاؤها أهميةً ومكانةً تفترض وجود طرفين: الأول مؤثِّر، والثاني مستمع. والجانب الثاني لديه وعيٌ كاملٌ بألفاظ الأول، ويؤولها بسياقها الصحيح، وهذا ما يُعطيها بُعدًا دلاليًا، ويحصِّنها من سوء الفهم، ويمنحها منزلةً متميزةً في عالم التواصل».

يتحدد الحب في هذا النص من خلال نقيضه، أي الكراهية لأعداء الإمام الحسين عليه السلام. ويتجلى ذلك في اللعن والدعاء عليهم بالعذاب، كما في قول الزائر: "فلعن الله من قتلك، ولعن الله من ظلمك". تتخذ العاطفة بُعدين متقابلين، أولًا في الحب بوصفه هوية دينية، حيث يتحول الولاء للإمام الحسين عليه السلام إلى عنصر أساسي في الانتماء الديني، مما يجعل الحب التزامًا عقديًا أكثر من كونه شعورًا وجدانيًا فرديًا. وثانيًا في الكره بوصفه رفضًا للباطل، فكما أن الحب يُترجم إلى ولاء، فإن رفض أعداء الإمام الحسين عليه السلام يتحول إلى موقف عقدي يُعرّف هوية المؤمن، مما يجعل حب الإمام الحسين عليه السلام موقفًا من الصراع بين الحق والباطل. علاوة على ذلك، يتمثل العامل المساعد في القيم الدينية مثل الشهادة، والكرامة، والوفاء بالعهد، وهي عناصر تمنح حب الإمام الحسين عليه السلام بُعدًا قدسيًا، مما يجعله أكثر من مجرد عاطفة شخصية. في المقابل، يظهر العامل المعارض في أعداء الإمام الحسين عليه السلام، الذين يُوصفون بأنهم خانوا العهد الإلهي، فضلًا عن كونهم أحرارًا وعربًا، كما خاطبهم الإمام بقوله: «يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ! إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ، فَكُونُوا أَحْرَارًا فِي دُنْيَاكُمْ! وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ عُرْبًا كَمَا تَزْعُمُونَ!»، مما يجعلهم يشكّلون العقبة أمام اكتمال تجربة الحبِّ والولاء.

يتجلى مفهوم الحب في خطاب زيارة الإمام الحسين عليه السلام ضمن مستويين أساسيين: الأول يتمثل في حب المخاطِب (الزائر) للإمام الحسين عليه السلام، حيث يتخذ هذا الحب طابعًا خطابياً مباشراً يتضمن عبارات الإشادة والتقديس. أما المستوى الثاني، فيتمثل في حب الإمام الحسين عليه السلام لأمته ولدينه، وهو ما يتجلى في تمثيله لمبادئ التضحية والفداء. ويتجسد هذا البعد في نص الزيارة، كما في القول: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُورًا فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ (الطَّاهِرَةِ)،

لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمَّاتُ مِنْ ثِيَابِهَا. وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ، وَأَرْكَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ، التَّقِيُّ، الرَّضِيُّ، الزَّكِيُّ، الْهَادِي، الْمَهْدِيُّ. وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَأَعْلَامُ الْهُدَى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا». (القمي، ١٤٢٨هـ: ٧٧٢)

يمكن تحليل البنية العاطفية للنص وفقًا للنموذج العاملي، حيث تتحرك الذات باتجاه موضوع رغبتها من خلال "العامل العاطفي"، الذي يحفّز الذات نحو الموضوع العاطفي. يُمثَّل الزائر بوصفه ذاتًا عاشقة، بينما يتموضع الإمام الحسين ﷺ بوصفه الموضوع المركزي لهذا الحب المقدس. يظهر "العامل العاطفي" بوضوح في نداء التبجيل: "بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ"، حيث تعكس هذه العبارة ذروة التفاني، إذ يعبّر المخاطِب عن استعداده لبذل أغلى ما يملك (الوالدين) في سبيل المعشوق الروحي. كما تعزز الشهادة الواردة في النص: "أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُورًا فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ" البعد العاطفي للحب، إذ تمنح الإمام الحسين ﷺ هوية طاهرة ونورانية، مما يعمّق الرابطة الروحية بين المحب والمحبوب ضمن إطار قدسي يتجاوز الزمان والمكان.

تعتمد البنية التواصلية للنص على العلاقة بين المرسل (الزائر) والمرسل إليه الإمام الحسين ﷺ، حيث يسعى الزائر إلى تحقيق تواصل روحي مع الإمام من خلال لغة مشبعة بمشاعر الحب والتقديس. هذه العلاقة ليست خطية، بل دائرية ومتجددة، حيث تؤدي الزيارة دورًا في إعادة إنتاج الحب والولاء عبر الأجيال. يعزز النص هذا البعد عبر التكرار البنيوي لعبارات الشهادة، كما في: "وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ، وَأَرْكَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنِينَ"، حيث يعكس التكرار تأكيدًا وجدانيًا على منزلة الإمام الحسين ﷺ ودوره المحوري في ترسيخ الإيمان وحماية العقيدة. تسعى الذات

(الزائر) إلى تحقيق الاتحاد مع الموضوع (الإمام الحسين (عليه السلام)) عبر سلسلة من الشهادات المتكررة والإقرار بولايته. ويبرز هذا البعد بوضوح في العبارة: "وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَأَعْلَامُ الْهُدَى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا"، حيث يتجاوز الحب البُعد الفردي للإمام الحسين ﷺ ليشمل ذريته، ما يعزز البعد الاستمراري للعاطفة ويمنحها طابعًا أزليًا.

يتأسس النص أيضًا على ثنائية "المساعد" و"المعارض"، حيث تُفهم العاطفة في ضوء تقابل دلالي بين القوى المتضادة. يتمثل "المساعد" في الصفات النورانية المنسوبة للإمام، كما في: "وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ، التَّقِيُّ، الرَّضِيُّ، الزَّكِيُّ، الْهَادِي، الْمَهْدِيُّ"، إذ تعزز هذه الصفات صورة الإمام الحسين ﷺ كمحبوب يتجسد فيه الكمال الروحي. بالمقابل، يظهر "المعارض" في الإشارة إلى الجاهلية بوصفها نقيضًا لقدسية الإمام: "لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمَّاتُ مِنْ ثِيَابِهَا"، حيث ترسّخ هذه المفارقة مفهوم الحب كقوة مقاومة للانحراف والظلم. يسهم هذا البناء السيميائي في تعزيز الأثر العاطفي للنص، إذ لا يقتصر على نقل المعاني، بل يمتد إلى إثارة مشاعر الحب والتقديس وإيجاد حالة من التماهي مع الإمام الحسين ﷺ. وتُستخدم في ذلك تقنيات نصية مثل التكرار، والتوكيد، واستحضار البعد النوراني، مما يجعل الزيارة طقسًا شعائريًا ذا بعد وجداني عميق، يتجدد مع كل مرة يتم فيها تلاوة النص، مؤكدًا على استمرارية العلاقة العاطفية بين الزائر والإمام عبر الزمن.

يندرج الخطاب العاطفي في نص زيارة الأربعين ضمن نموذج العامل العاطفي، حيث يتموضع الحب كمفهوم مركزي يحكم العلاقة بين الزائر والإمام الحسين ﷺ. يتجلى هذا الحب في أبعاده الدينية والوجدانية، إذ ينطوي على الإيمان والولاء والطاعة، كما يتضح في العبارات: «وَأَشْهَدُ أَنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَبِإِيَابِكُمْ مُوقِنٌ، بِشَرَائِعِ دِينِي، وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي، وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ، وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ

لَكُمْ. فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ، لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ. صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ (أَجْسَامِكُمْ)، وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ، وَظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ، آمِينَ، رَبَّ الْعَالَمِينَ».

تمثّل الذات العاشقة شخصية الزائر، بينما يتجلى الموضوع العاطفي في الإمام الحسين ﷺ الذي يشكّل بؤرة الحب والولاء. ويعمل العامل العاطفي على تحريك الذات نحو الموضوع، كما يظهر في قوله: "وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ، وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ"، وهو تعبير عن ذروة العاطفة التي تصل إلى مستوى الامتزاج بين ذات المحب والمحبوب، مما يعكس حالة الفناء العاطفي في شخصية الإمام عبر الطاعة والاتباع.

يُبنى الخطاب في زيارة الأربعين على علاقة تواصلية واضحة بين المرسل (الزائر) والمرسل إليه (الإمام الحسين ﷺ، حيث يستند الزائر إلى ضمير المتكلم لتعزيز حضوره الفاعل في هذه العلاقة العاطفية. يظهر ذلك جليًا في العبارة: "وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ لَكُمْ"، التي تعبّر عن بُعد مستقبلي للحب، حيث لا يقتصر على الاعتراف اللفظي بل يمتد ليشمل الاستعداد الفعلي للنصرة، مما يجعل الحب متجسدًا في الفعل والتضحية. يتحدد النموذج السيميائي للعواطف من خلال تفاعل ثنائية المساعد والمعارض، إذ يتمثل المساعد في العبارات التي تؤكد الحب المطلق والولاء للإمام، كما في قوله: "فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ، لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ"، حيث تؤكد هذه الجملة على انحياز تام يرفض الحياد، مما يجعل الحب موقفًا وجوديًا يتجلى في الولاء المطلق، ويتجسد المعارض في العدو الذي يشكّل الطرف النقيض في هذه العلاقة، مما يعزز البعد الصراعي في النص، حيث يصبح الحب موقفًا يتطلب إثباته بالفعل والالتزام. والعلاقة بين المعارض والمساعد هي «الصراع الذي يحدث جراء وجود المتناقضات عند الطرفين. فتفوّق الفاعل في إنجاز المهمة يمنح الآخر التأهّل والطاقة، مما يمكّنه من مقاومة الأعمال السيئة وتضييق دائرة الصراع، الذي يسبب

للنفس الاضطراب والقلق، وبالنتيجة: تحقيق الموضوع ونجاح المهمة الأساسية التي اضطلع بها الفاعل».(المسعودي، ١٤٤٥هـ: ١٣١)

يتسم الخطاب العاطفي في نص زيارة الأربعين ببنية شعائرية تعزز من تأثيره الانفعالي على المتلقي، وذلك عبر استخدام أسلوب التوكيد والتكرار، كما في قوله: "صَلَوَاتُ اللهِّ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ". إنّ التراكيب المتوازنة والتكرار في هذه العبارات يسهمان في ترسيخ العاطفة لدى الزائر، مما يجعل الحب يتجاوز حدوده الفردية ليأخذ طابعًا جمعيًا، حيث تصبح زيارة الأربعين طقسًا متجددًا يُعيد تشكيل العلاقة العاطفية بين الزائر والإمام الحسين ﷺ بشكل مستمر.

النتائج

توصَّلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الجوهرية التي تبرز الأبعاد العاطفية والسيميائية في نص زيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ. ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج في النقاط التالية:

- يتجاوز الحب في زيارة الأربعين كونه إحساسًا فرديًا، ليصبح تجربة وجدانية جماعية متجذرة في السياق الديني والتاريخي، حيث يتداخل هذا الحب مع عناصر الولاء، التضحية، والرفض للظلم.
- تتجلى العاطفة في النص من خلال جدلية الاتصال والانفصال، حيث يتشكل الحب في سياق الولاء للإمام الحسين ﷺ، في حين يتجلى نقيضه في رفض أعدائه وكُرههم، مما يعزز الصراع بين الحق والباطل.
- يظهر الحب في النص كقوة محركة تُعيد تشكيل هوية المؤمن، حيث يصبح الإمام الحسين (عليه السلام) محورًا لهذه العاطفة، بينما تمثل الذات الزائرة شخصية عاشقة تتبنى قيم الإمام وتسير على نهجه، ويرتبط حب الإمام الحسين ﷺ في

النص بمفهوم الولاية الإلهية، مما يجعله جزءًا من المسار الروحي والإيماني للمؤمن، لا مجرد علاقة وجدانية شخصية.

- يتجسد الزائر في النص كذات عاشقة تسعى إلى الاتحاد مع الإمام الحسين عليه السلام الذي يصبح الموضوع المركزي للحب والتبجيل. يتجلى هذا التفاعل في الشهادات المتكررة التي تبرز المنزلة الروحية للنبي والإمام وذريته.
- تسهم تقنيات التكرار في النص، مثل "فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ"، في تعزيز عاطفة الولاء المطلق للإمام وتثبيت الاستمرارية في العلاقة بين الزائر والإمام عبر الزمن. هذه العبارات تؤكد أن زيارة الأربعين ليست مجرد كلمات، بل طقس مستمر يتجدد مع مرور الوقت.
- يعمل النص كطقس شعائري، حيث يُعيد الزائر من خلال تكرار العبارات التعبير عن مشاعره ويؤكد ولاءه العميق للإمام الحسين عليه السلام إن هذا الأسلوب يخلق تأثيرًا انفعاليًا عميقًا على المتلقي، مما يعزز تجدد الحب والتواصل الروحي بين الزائر والإمام.
- يُظهر نص الزيارة من خلال التأكيد على استمرار العاطفة عبر الأجيال، كيف أن زيارة الأربعين تصبح طقسًا متجددًا يُحتفل به في كل مرة، ليظل الحب والولاء للإمام الحسين عليه السلام حيًا ومتواصلًا.
- يتم تمثيل عاطفة الحب في النص من خلال النداءات المقدسة، مثل "بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي"، والشهادات التي تُظهر طهارة الإمام الحسين عليه السلام وكماله، مثل "أَشْهَدُ أَنَّكَ نُورٌ".
- تتشكل العاطفة في النص من خلال عوامل مساعدة، كالقيم الدينية العليا (الشهادة، الاصطفاء، الفداء)، وعوامل معارضة، كأعداء الإمام الذين يمثلون نقيض الولاء، مما يعزز البناء السيميائي للعاطفة.
- تمثل العاطفة تمسكًا بالقيم الأخلاقية مثل العدالة والطهارة، ومقاومة للظلم والفساد، كما تشير إلى وحدة صف جماعية وهوية سياسية ضد الطغاة. يتحول الحب إلى موقف وجودي يحدد هوية المؤمن ويمنحه إحساسًا بالانتماء إلى مشروع الإمام الحسين عليه السلام، ما يجعل الزيارة جزءًا من عملية تشكيل الوعي الإيماني والروحي.

المصادر

- القرآن الكريم.

١. ابن فارس، أحمد بن زكريا. (١٣٩٩هـ). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، د.ط، بيروت: دار الفكر.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٩هـ). لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، الجزء السادس، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣. أحمد اليوسف، عبدالله. (١٤٤٠هـ). زيارة الأربعين والعشق الحسيني قراءة في المضامين والدلالات والآثار، ط١، د.م: أطياف للنشر والتوزيع.

٤. الأندلسي، ابن حزم. (١٩٨٧م). طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٥. بحر العلوم، سيد مهدي بن سيد مرتضى. (١٤٣٣هـ). رسالة السير والسلوك المنسوبة لبحر العلوم. شرح: سيد محمد حسين الحسيني الطهراني، ط١١، مشهد المقدسة: منشورات نور ملكوت القرآن.

٦. الحسيني الطهراني، سيد محمد حسين. (١٤٣٢هـ). لمعات الحسين. ط١١، مشهد المقدسة: منشورات العلامة الطباطبائي (قدس سره).

٧. حمداوي، جميل. (١٩٩٧م). «سيميوطيقيا والعنونة»، مجلة عالم الفكر، ع ٣، صص ٧٩- ١١٢.

٨. السرغيني، محمد. (١٤٠٧هـ). محاظرات في السيميولوجيا، ط١، دار البيضاء: دار الثقافة.

٩. عتريسي، طلال. (١٤٤٦هـ). «زيارة الأربعين أنموذجٌ لمجتمع تراحمي نقيض

الفردانية الحداثية»، مجلة العقيدة، ع٣١، صص ١١٥-١٣٨.

١٠. القمي، عباس. (١٤٢٨هـ). كليات مفاتيح الجنان، ط٢٩، قم المقدسة: منشورات الهادي.

١١. كللر، جوناثان. (٢٠٠٠م). فردينان دوسوسير: تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، ترجمة: محمود حمدي عبدالغني، د.ط، الإسكندرية: المجلس الأعلى للثقافة.

١٢. المخزومي، صادق. (٢٠١٨م). زيارة الأربعين دراسة سوسيولوجية ميدانية، د.ط، النجف الأشرف: مؤسسة أديان للثقافة والحوار.

١٣. المسعودي، زهراء عبد الحميد غالي زغير. (١٤٤٥هـ). «سيمياء العواطِفِ فِي الصَّحِيفَةِ السَّجَادِيةِ»، أطروحة دكتوراه، المشرف: حربي نعيم محمد الشبلي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء.

١٤. ولد أباه، أحمد سالم. (٢٠١٠م). السيميولوجيا والشعر العربي القديم: المفضليات للضبي أنموذجًا، ط١، القاهرة: المكتبة المصرية.